جواد سليم

مكتبة
الفكر
الجديد

من كتب
عبير الربيعي

جواد سليم

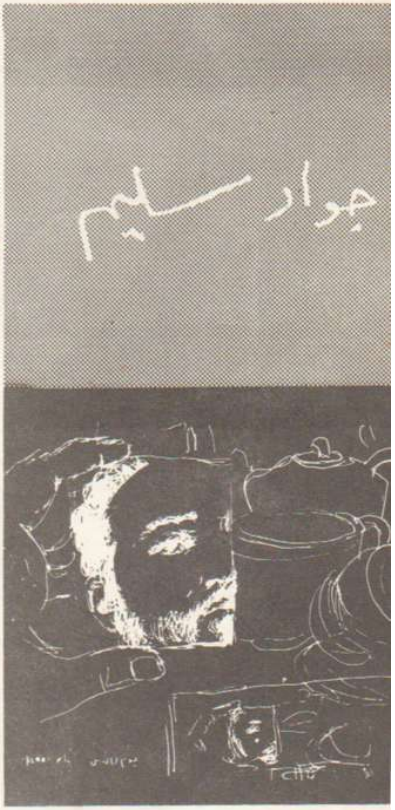

في عام ١٩١٩ دخل حياة الاسرة البغـدادية الصغيرة القاطنة في انقرة ، زائر جديد أضاف الى ارقامها الثـلاثة رقماً رابعاً . ولم يكن لهذا الحدث الفريد من اسم يربطه بتاريخ بغداد القديمة ذات التقاليد والمآثر العريقة ، غير أن يكون (جواداً) الطفل الثالث للضابط العراقي النازح من بلده والعائش بحكم وظيفته العسكرية هناك .

وقطعت الأسرة ليلتها وهي حانية على المهد ، ترهف السمع الى الاغنية الجديدة التي غمرت البيت المتواضع بالمسرة والابتهاج . ثم جاء صباح مشرق ، وتلته اصباح .. وغربت شمس اناضولية شاحبة الضوء ، حينما ودعت الاسرة أرضا غـير ارضها ، وقفلت عائدة الى وطنها . . العراق .

وفي بيت قديم ، بشناشيل تطل على زقاق ملتو يمتد بين البيوت البغـدادية المتعانقة ، نشأ جواد ، وقطع فترة طفولته في احضان أب كان يعشـق الرسم ويعتبره هوايته المفضلة ، وأم ذكية ذات حس فني فطري ، كانت تجبل من الطين تماثيل صغيرة لقرويات الجنوب ، وتقدمها لطفلها الوديع جواد... كما كانت تحوك السجاد وتقطع سأم الليالي الشتوية بصنع الجوارب الملونة .

وفي هذا البيت اتسعت الاسرة الصغيرة ونمت . . فكانت (نزيهة) الطفلة التي اضافت الى العـائلة عضوا اثيرا حبيبا . واختتمت السلسـلة بـ (نزار) آخر الاخوة الخمسة في عائلة سليم (١)

واذا قدر لزائر أن يعود الأخت الحزينة في منزلهـا اليوم بحي (الوزيرية) من بغداد فسيسمع أقاصيص ذكرياتها الشجية التي مازالت تلف ماضيا حـل فيمن حل الى اعماق ظلمته السحيقة، زهرتين من زهرات الحديقة البغدادية الشذية: اخاها الأكبر رشاد وهو في التاسعة والعشرين من عمره.. واخيراً جواد وهو في الثانية والاربعين من عمره .

وفي اقاصيص القنانة نزيهة يحس المرء ان صوتاً من اعماق المـاضي هو الذي يتكلم .. وان الصحراء التي تعيش في ضياعها اليوم ، كانت حتى الأمس القريب ، قطعة من جنان العراق الخصيب .

وفي موجات الحنان التي يتهدج بها صوت القنانة ، ينصت السامع الى ذلك النغم الصاخب الذي كان يعمر بيت سليم يومذاك ، فقد كان الاخوة يعيشون في كنف والد رحب الأفق متفتح الذهن ، وهـذا ما أودع في نفوسهم حب الفن منذ الصغر . ففي الوقت الذي كان فيه رواد مقاهي بغداد يحلقون بخيالهم على اجنحة غير منظورة من انغام التخت الغنائي التقليدي « الجالغي » الذي انحدر الينا من ظلمة « الفترة المظلمة » مزيجا من لحون عربية ومغولية وفارسية وتركية ، كانت تنبعث من بيت القنانين الحان

(١) بدأت حلقات السلسلة ـ زمنيا ـ بأول الاخوة المرحوم (رشاد) الذي توفي عن تسعة وعشرين عاما وهو برتبة رئيس في الجيش ـ صنف الهندسة ـ ثم الحاج (سعاد) الرئيس الاول في الجيش ايضا . والمرحوم (جـواد) . ثم القنانة (نزيهة) خريجة معهد الفنون الجميلة العليا (البوزار) في باريس . واخيرا (نزار) الـكاتب الأدبي ، والفنان المرهف .

لايدرك تقدير تناسقها الهارموني العجيب ، صائد السمك في دجلة . . . أو بائع « الشلغم » في حارات بغداد .. كان البيت السعيد في تلك الأيام يستمع الى الحان بيتهوفن وشوبان !

هنا عاش جواد ايام طفولته وشطرا من صباه الأول . وفي تلك الفترة اولع بفن النحت حينما كان يصنع من الطين لعباً صغيرة يحاكي بها لعب امه التي كانت تتسم بالسذاجة . . . او حينما كان ينظر بذهول ورعب الى التماثيل الآشورية الشاخصة في المتحف العراقي ، فترتسم في ذهنه اشباحها المخيفة الهائلة .

التفتح

حينما اتم جواد دراسته الثانوية ارسل في بعثة للدراسة فن النحت في باريس فالتحق بمعهد الفنون الجميلة العليا الـ (بوزار) حيث تتلمذ على يد الفنان الكلاسيكي البروفيسور گاومونت وهناك تفتحت مواهب الفنية وطفق ينهل من معين الفن في تلك المدينة ما شاءت طبيعته الخصبة ان ينهل ، ثم رجع الى بغداد ، ليشد الرحال مرة اخرى الى ايطاليا . وفي روما تتلمذ على يد الاستاذ زونيلي . وبقي هناك حتى نشـوب الحرب العالمية الثانية حيث عاد الى وطنه ودخان الحرب القـائمة مازال يغشي سماء أوربا ويمزق مجدها الحضاري شر ممزق .

حتى اذا ما انجابت السحب الثقيـلة عن تلك الآفاق ، ولملمت الشعوب المنكودة ضحاياها من ارض المعركة ، وبرزت من خلال الركام رؤوس العمارات الجديدة ، وهي تتطلع بأمل كبير الى المستقبل المجهول الذي يختفي وراء هبوات الزمن ، تهيأت للفنان فرصة ثالثة للسفر الى : « اوربا ما بعد الحرب » .. وفي كلية (سليد) بلندن تلقى آخر دروسه الفنية حيث عاد بعد ذلك الى بغـداد ليدرس فن النحت بمعهد الفنون الجميلة ، ثم ليكون ــ آخر الأمر ــ رئيسا لهـذا الفرع في المعهد المذكور حتى نهاية حياته .

في هذه السطور القليلة التي حملت تاريخ حياة الفنان الحـافلة كما تحملها اية ترجمة يقرؤها التـلاميذ في كتبهم المدرسية ، تمتد سلسلة الأيام الغنية بالتجارب ، المفعمة بالعواطف الجياشـة ، الملأى بالأحية العجيبة ، أيام جواد وهو يعكف على صياغة الحجر واستنطاقه ، وليالي جواد ، وهو ينسج على مهل ، خيوط ملاحمه التي كان يؤلف اجزاءها الصراعية عضواً عضواً ، حتى تجمعت في اخريات ايامه جسداً اسطوريا هائلا يحمل بين جنبيه الماضي والحاضر والمستقبل . وانتصب العملاق الكبير في قلب بغداد ، ليقرأ الناس في عينيه الوادعتين الغاضبتين في آن واحد ! تاريخ اجيال ماضية واجيال اخرى آتية .* (٢)

العجلة والزمن

كانت عجلة الزمن تدرج على أرض سومر وآشور حينما لم يكن هناك من يحمل الريشة ولا الأزميل .. وعندما انطوت الظلال المقيتة التي تركها الاستعمار العثماني على ارض الحضارات الزاهرة في بلاد الرافدين ، ومضت سنوات ما بعد الحرب العالمية الأولى الى وادي النسيان ، طرقت المدنية الحديثة ابواباً مغلقة تماما او مفتوحة على النصف . وهكذا اتيح للفنانين الشبان اكرم شكري وفائق حسن وجواد سليم وحافظ الدروبي وعطا صبري ، ان يسافروا الى الغرب ليدرسوا الفن في مراسم لندن وباريس وروما . ومن هنا بدأت نهضة الفن الحديث في العراق . ومن هنا ايضا يقتضي للدارس ان يتتبع بأمانة ، الخط المتـألق الذي تركه جواد سليم الفنان والمعلم والمفكر في مجرى الحركة الفنية في العراق . فلقد ظل جواد يعمل سنين طويلة كما يعمل زملاؤه مقتفياً اثر اساتذته القدامى في ملء الفراغ ، او تغطية بعدين من « كانفـاس » مشدود . غير انه سرعان ما تنبه بعد احتكاكه ــ لأول مرة ــ بحركة الفنـانين البولنديين الذين حملتهم الى العراق موجة هائلة من موجات الحرب العـالمية الثانية ، الى انه مازال يعمل وزملاؤه بأسلوبية القرن التاسع عشر ، وانهم ما زالوا انطباعيين في احدث أساليبهم او اكاديميين اتباعيين في اقـدم تلك الاساليب ! وهكذا عمد منذ ذلك الحين ، الى التفكير في تغيير اسلوبه واستنباط اسلوب آخر مستحدث مبني على أسس تلك الطفرة الهائلة التي مثلها اولئك الفنانون النازحون ، فبهروا الابصار ، واثاروا في النفوس اليقظة اكثر من سؤال .

وهكذا طفق الفن العراقي يبحث عن حل لهذه المشكلة التي بدأت تواجهه ، وبقلق واضح ، اخذ يتلمس طريقه في غابة متشابكة الفروع ، وبدأ جواد يبحث هو الآخر بشكل اكثر ايجابية عن الارض العراقية

*(٢) اشارة الى نصب ١٤ تموز البرونزي الذي اتم الفنان وضعه بفلورنسا من ايطاليا ، واقيم على افريز واسـع في الباب الشرقي من بغداد ولم يمهله الزمن حتى يراه بشكله النهائي ، اذ وافاه الأجل المحتوم وهو ينصب القطعات الأولى منه .

التي يضع عليها عمارته الفنية . وتبلورت الاتجاهات الفنية شيئا فشيئا حتى تجسدت على شكل (جماعات) ، كان جواد يقود واحدة منها :

وعملت « جماعة بغداد للفن الحديث » منذ يوم ولادتها في عام ١٩٥٠ على ان تكون واسطة لتحمل مسؤولية خلق اسلوب حديث منتزع من غاية التطور العالمي في الاسلوب ، ومتقمصا الطابع المحلي في الوقت نفسه » .

كان جواد في هذه المرحلة من تاريخ الفن العراقي يمثل ذروة التفتح الفني في الشرق العربي، ذلك لانه استطاع ان يصل بفنه الى مستوى المشكلات العصرية دون ان يضحي بالروح الشرقية اجمالا والروح العراقية على وجه التخصيص . فهو في صوره (البغدادية) يضع « البعد الزمني » موضع المناقشة ، لانه يجمع فيها روح عصرين : بغداد القديمة التي بدأت تذوب ، بشناشيلها وقبابها واقواسها والوانها الزرقاء والخضراء والفيروزية . . الأهلة الشاحبة والاقواس العربية ، وشناشيل ما بعد الفترة المظلمة ، حيث يخيل للمرء ان ارواحا انسية تعمرها من خدور الحريم ، حتى ردهات الاستقبال العصرية .

وهكذا يعود بنا فن جواد الى اسلوب الرسم البغدادي القديم ليذكرنا بأن الخط الرهيف ، واللون السمح البسيط الشفيف ، والاقواس المعقودة باناقة معمارية خارقة ، والتي تؤلف بشكل لا يبارى روح الفن البغدادي الذي انقطع عنا منذ عهد الفنان العراقي الشهير يحيى بن محمود الواسطي ، هي التراث الجميل الذي يستطيع الفن العراقي ان يستمد منه مقوماته ، وان يبني عليه قواعد تشكيلاته الحديثة ، وهو اذ يفعل ذلك، فانما ليعيد الى الاذهان ما حققه الفنان العراقي القديم في حقل الرؤية البلاستيكية ، دون التضحية بالرمز الحديث أو المشكلة المعاصرة .

يتراءى لنا كل هذا من مقال كتبه الفنان عام ١٩٥٢ حول معرض الفن العراقي الذي اقيم في بغداد بمناسبة مهرجان بن سينا :

« من الصعب ان نقول ان في العراق اليوم مدرسة خاصة للرسم والنحت ، وهذه الصعوبة يصطدم بها الناقد للدراسة المدرسة الفنية في اي بلد آخر . والفن اليوم اصبح عالميا يجمع الماضي بالحاضر . وعالمية الفن هي تذوقه اكثر مايمكن تذوقه من الفنون العالمية لدى الشعوب المختلفة، كالسينما اليوم، اذ اصبح الشرقي مثلا يهضم الأفلام الامريكية ويستسيغها، ويحاول التوصل الى الاسس التي ترتكز عليها الروح البشرية بصورة عامة لايجاد التبادل الفني بين الفنان والمشاهد بأقصى حدوده .

ويبقى الطابع المحلي وهو متوفر في اكثر اعمال الفنانين ومفقود لدى الآخرين ، والتوصل اليه ليس بالأمر الهين . ولا اقصد بالطابع المحلي رسم اعرابي او مئذنة عراقية مثلا ، بل هو المميزات الخاصة التي تثيرها في الفنان فتكسو روح اعماله »

في عام ١٩٥٦ كتب « الن نيم » في مجلة «ستوديو» الانكليزية مقالا عن الفن العراقي جاء فيه :

«...هناك مجموعة اخرى من الفنانين يساهم عملهم بصورة مباشرة اكثر في تطوير نهج قومي مستقل ، وبين هؤلاء .. جواد سليم النحات والرسام ، وهو اشهرهم خارج العراق .

.. وهو كمصور وكرسام تخطيطي قد تعلم الكثير من بيكاسو وبراك . ان الفطنة والخيال اللذين تتميز بهما رؤياه للمشهد العراقي ـ السيدات المرقعات ذوات العيون النجلاء ، والانحناءات المذهلة ، والخصور الدقيقة النحيلة ، وضيوف الحفل المنهمكون في لذائذ الاتهام والابتلاع حتى انآدت رؤوسهم عن اكتافهم ـ ان هذين الشيئين : الفطنة والخيال ، يظهران في امتع مظاهرهما في مجموعة من الرسوم التي وضعها جواد لترجمات دزموند ستيورت عن الشعر العربي الحديث التي نشرت في مجلة « نيو وورلد رايتنك » عام ١٩٥٤ .

النموذج

في عام ١٩٥٣ اقيمت مسابقة عالمية لوضع تمثال (للسجين السياسي المجهول) . ولقد كفل هذه المسابقة « معهد الفنون المعاصرة » في لندن، وعرضت الأعمال النحتية الفائزة في الـ Tate Gallery واشتركت في هذه المسابقة (٥٥) دولة من ست قارات ، حيث بلغ عدد النحاتين الذين اشتركوا فيها (٣٥٠٠) نحات كان فيهم نحاتون من الاقطار العربية : العراق والاردن وسوريا ومصر ، فاز بالمرتبة الأولى بينهم جواد سليم .

هذه الظاهرة تشير الى ان الفنان بدأ بالانتقال من مرحلة الاختبار والتشكك الى ميدان اصبح فيه الفن لغة عالمية لا ترتبط بوطن . ومنذ يومئذ وجدنا ان فن جواد اخذ يكتسب صفات تعبيرية جديدة فيها شمول تلك اللغة واتساعها، مع احتفاظه بالروح والطاقة اللتين اطلقتاها من مكامنها.

وهذا ما يفسه الدراس لنصب الحرية، الأثر النحتي الكبير الذي وضعه الفنان في أخريات ايام حياته ، وغنى فيه بنغم مأسوي رهيب وحبيب معا ، قصة الانسان وكفاحه منذ بدء الحياة على السهوب العراقية حتى ثورة ١٤ تموز المجيدة .

. . . حينما ارتحل جواد الفنان الى ارض الصمت ، كانت انامله الشاعرية تعزف مقاطع الملحمة الجبارة لتاريخ العراق ، ولم يكن هناك من يعلم ان اليد التي صاغت كل هذا الاعجاز ستقف عن الحراك . . والى الابد .

ولكن الذي حدث ان جواداً الكبير بفنه ، الكبير بقلبه ، قد ودع العالم الذي أحبه ، والحياة التي عشقها وغناها بصمت وهدوء ، ثم ترك وراءه فراغا هائلا سيسحب مع السنين ، وستتسع هوته كلما تقادم الزمن وشعرنا ان جوادا الفنان ليس معنا .

ولعلنا ، ونحن نضع هذه المقاطع الميتة من مرثية باهتة اللون ، لأعجز من ان نبكي الفنان في عالمه الصامت ذاك الذي ودعنا وارتحل اليه ، ذلك لان الفجيعة لم تكن واحدة ، كما لم يكن الفقد ، فقد انسان ممن تجيء بهم الحياة وتروح دون ان يرموا حجرا واحدا في البحيرة الساكنة ! ولا ان يحركوا وترا ، او يستثيروا لونا او يحدثوا صوتا في هذا العالم ، بل كان جواد كل هذه الاعمال الرائعة مجتمعة .

كان جواد نحاتاً من طراز فريد . وكان رساما فذا ايضا . وهذا قول ليس بالجديد في هذا الرجل . ولكن الذي احسنا بفقده حتى الاعماق ، كان شيئا مؤسياً غير هذا . . انه النفس الرائعة التي انطوى فيها العالم الاصغر بأحاسيسه الانسانية الرفيعة ، ومده العبقري المذهل ، وبساطته التي تحكي براءة الأطفال . . وهذا هو حقا ما نذكره بحسرة وغم كلما طافت صورة جواد بيننا .

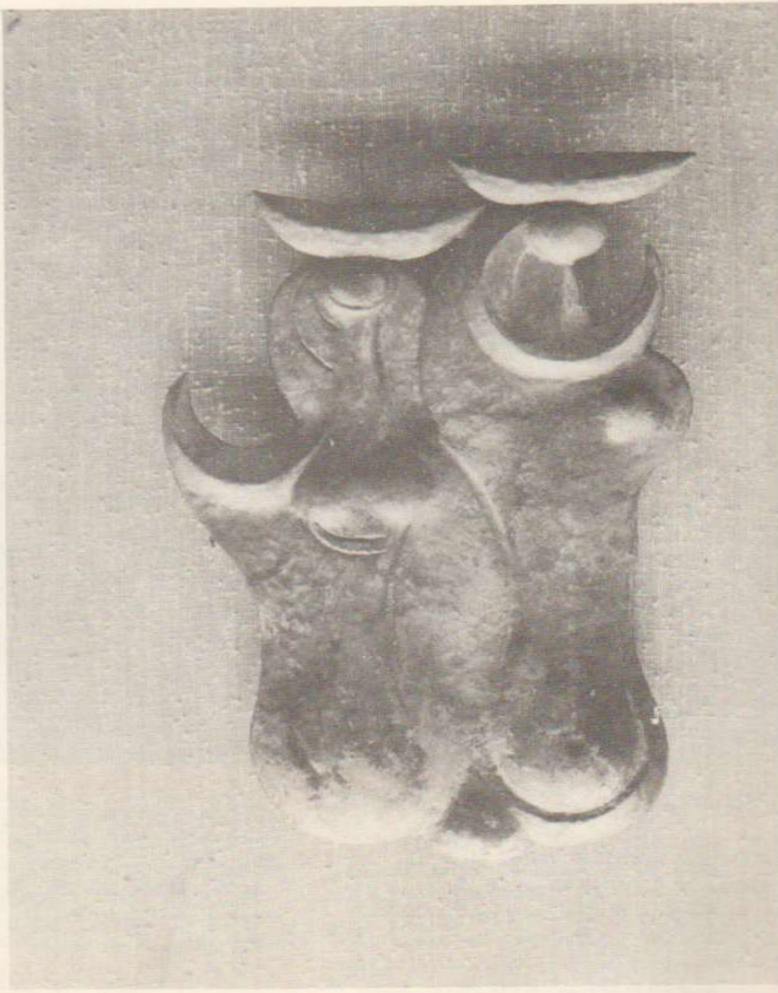

قرويتان ـ نحاس مطروق

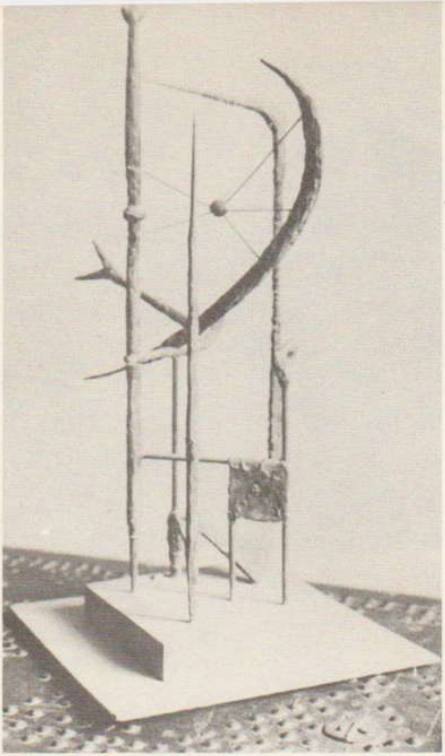

السجين السياسي

في معرض الفن العراقي المعاصر الذي اقيم في بيروت عام ١٩٥٧ في قاعة اليونسكو

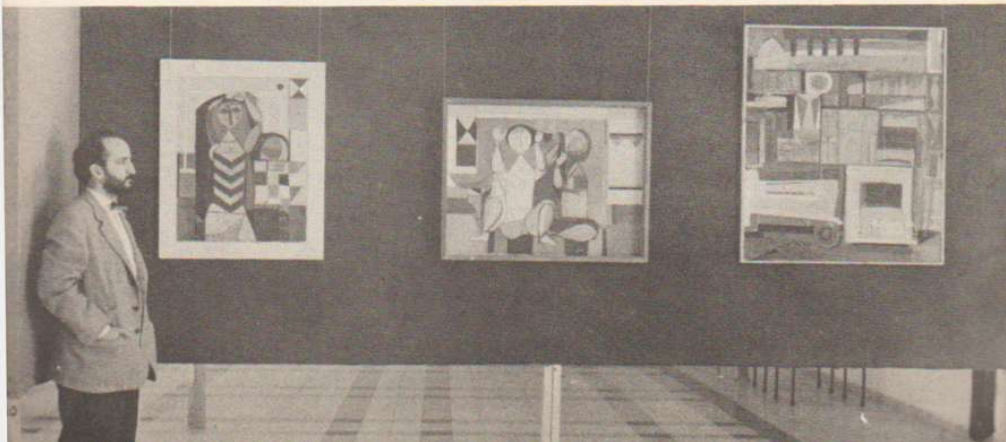

ترويض ـ الوان مائية

صبيان يأكلان الرقي

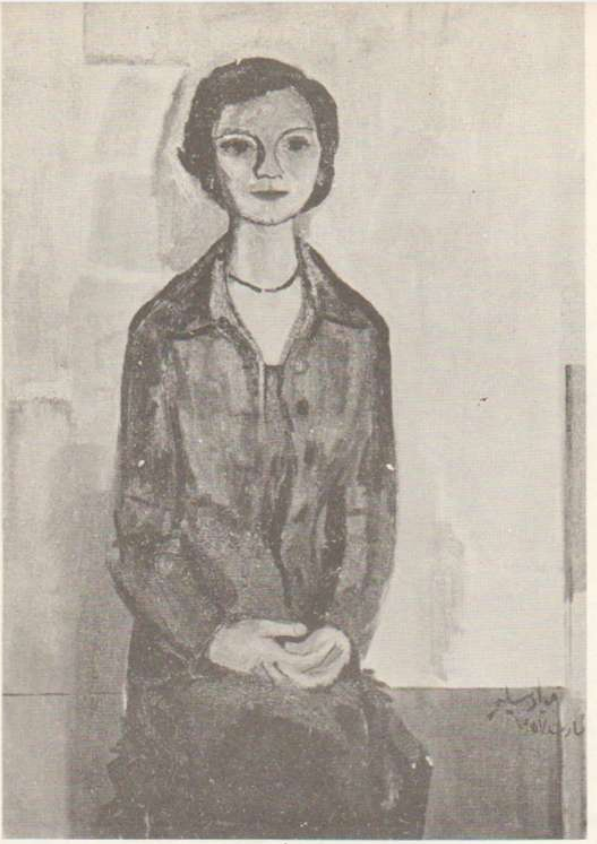

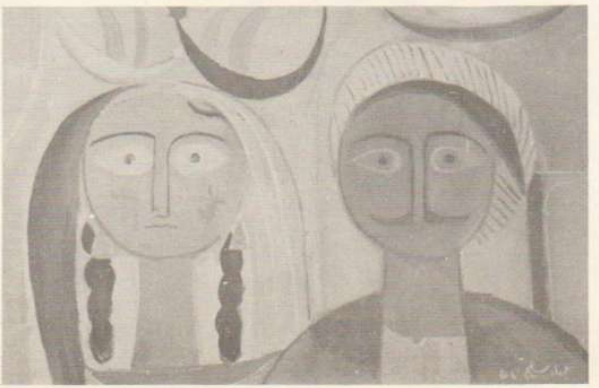

عروسان من بغداد

الام –
نحت من الخشب

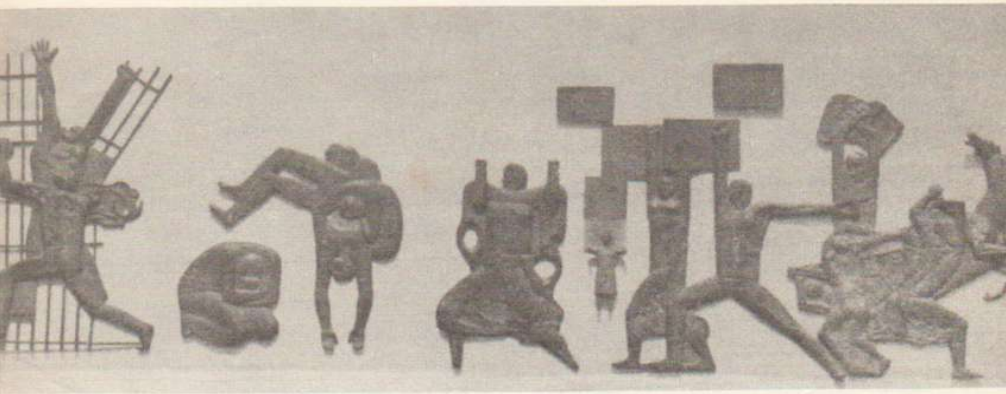

النصب التذكارى
لثورة ١٤ تموز المجيدة

نشر جمعية الفنانين العراقيين
اعداد نوري الراوي
تصميم وتصوير – رمزي
طبع الشركة الوطنية للطباعة والاعلان
تلفون ٨٣١٥٣